

التبيان في تفسير القرآن

(438) معترفا بها " اجتباها " يعني اختاره الله واصطفاه " وهداه إلى صراط مستقيم " أي حكم بأنه على صراط مستقيم أي لطف له حتى اهتدى إلى طريق الحق. وقوله " وآتيناه في الدنيا حسنة " أي اعطيناه جزاء على هدايته في هذه الدنيا حسنة، وهي: تنويه الله بذكره في الدنيا بطاعته لربه، ومسارعته إلى مرضاته، وإخلاصه لعبادته، حتى صار إماما يقتدى به، وعلمًا يهتدى بسنته. قال قتادة: حتى ليس من أهل دين إلا وهو يتولاه ويرضاه. وقال الحسن: معنى " حسنة " يعني نبوته. وقوله " وإنه في الآخرة لمن الصالحين " أخبار منه تعالى أنه مع إيتائه الحسنة في الدنيا هو في الآخرة من جملة الصالحين. وانما لم يقل: لفي أعلى منازل الصالحين، مع اقتضاء حاله ذلك، لمدح من هو منهم، والترغيب في الصلاح ليكون صاحبه في جنب إبراهيم، وناهيك هذا الترغيب في الصلاح، وهذا المدح لإبراهيم أن يشرف جملة هو منها، حتى يصير لاستدعاء إليها بأنه فيها. وقوله " أوحينا إليك أن اتبع ملة ابن إبراهيم حنيفا " أي أمرناك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا مستقيم الطريق، في الدعاء إلى توحيد الله، وخلع الانداد، والعمل بسنته، " وما كان " يعني إبراهيم " من المشركين " بعبادة الله غيره. وقوله " إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه " اختلفوا في معناه، قال الحسن: معناه أنه جعله عليهم بأن لعنهم بالمسح لاعتدائهم فيه. واختلفهم فيه كان بأن قال بعضهم: هو أعظم الأيام حرمة، لأنه تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء كلها. وقال آخرون: بل الأحد أفضل، لأنه ابتدا خلق الأشياء فيه. وقال مجاهد، وابن زيد: عدلوا عما أمروا به من تعظيم الجمعة. ووجه اتصال هذه الآية بما تقدم أنه لما أمر باتباع الحق، حذر من الاختلاف فيه، بما ذكره من حال المختلفين في السبت، بما ليس لهم أن يختلفوا فيه، فشدد عليهم فرضه، وضيق عليهم أمره وقال قوم: معنى " اختلفوا فيه " أي خالفوا فيه، لأنهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة، ودخل فيها السمك يوم السبت، فأخذوه يوم الأحد. ثم قال " وإن ربك " يا محمد " ليحكم بينهم " أي يفصل بينهم يوم القيامة في الذي كانوا مختلفين فيه، ويبين لهم الصحيح من الفاسد